

## لون الثلج

### فؤاد كحل

فيبدأ الحلم من جديد  
ويشرق القلب بالولادة؟!  
كيف تأتي وتذهب  
حين تشاء  
بادئاً حالة لصياغة أغنية  
ووطن?  
أنت تهمني على الروح  
تهمي...  
فركض فوق البياض عراة  
و.. تغمرنا  
مشعلاً دفء أجسادنا  
بعد أن غادرتنا البلاد..  
... وكنا نسينا  
بأن جسداً  
أن روحاً لنا  
أنا ها هنا!  
أن في قلبنا رقصت كلمات  
أن هطلك فاجأنا في الطفولة  
أن لنا أغنيات!  
أنت في القلب تهمني  
تعيد البياض إلى أصله  
فتوحد ألوانها الشمس  
يقطف كل ربيع لأطفاله حلاً  
ويعيد التراب تكون أحلامه بالنهوض..  
إذن، تستعيد النهاية أولها  
الخلق  
أحلامها...

إنها الأنشودة الأولى إذن!  
أتضح التضاريس  
في أدهر الذات...  
إنها الحرية الأولى إذن!  
- يعود الحبيب إلى قلبه  
- القلب إلى روحه  
- .. وتهرع الروح  
إلى فضائها..!  
كيف غادرتنا  
هذه الوجوه  
كل هذا الوطن?  
في غيابك يا زمن الأحقوان..?  
كيف عادت ولو.. لثوان?  
وأنت تهمني  
على النوافذ المحطمة  
والأناس الغارقين  
والأماني الهاربة?  
تحيط بنا  
لنكتشف البدايات  
لنعرف أننا كنا ولذنا  
قبل هذا الموت..  
تمنحنا فضاءنا  
مشعشعاً أوطاننا  
في زمانٍ حالمٍ بالاندلاع...  
وتحاصرنا أبداً:  
في مكانٍ قابلٍ للانساع...

ها هو الموت يأتي  
من القلب يأتي  
من الكون يأتي  
فارضاً حالة لانطفاء الأبد  
حالة لضياح الندى  
في الجسد..  
\*\*\*  
إنها أحاسيسنا  
تغادر أجسادنا  
فتهمم الروح في اللاشيء  
غارقة في الظلمات  
كيف أصبحت الأيام  
ملتقى للموت  
ومفترقاً للحياة?  
فانطفأ الشروق  
لاجمار في... دمه  
واشتعل الغروب  
يستنير من... غديه  
ليذهب كل شيء  
إلى الزوال.. والتلاشي?  
ثم.....!  
يأتي الثلج  
تأتي الدهشة  
اليقظة... الحلم  
فيرجع الناس من النسيان  
وتزهر الأغاني

وبقايا لذاكرةٍ غادرت  
أو تكاد!

كيف كلُّ قَتيلٍ رأى روحه؟  
كيف عانقتِ الأرضُ حالاتها؟  
كيف طارتُ بأجسادنا أنهرُ  
وبأرواحنا قَبْرَاتٍ...؟

وتأتي المبرشاتُ المدرعات  
صباحاً... رواحاً  
فغدو لمن يعاني

سلاحاً... جناحاً

تحتهُ تطفو نَحورُ الدماءِ... حوله يمتدُّ بحرُ  
الفضاءِ...

إنها أحاسيسنا

خلايانا الأولى

أرواحنا التي لا يُفْرَقُ فيها:

بين الموجِ والرمالِ

بين الفضاءِ والترابِ

بين زهرةِ الفكرِ

وعصفورةِ الجسدِ!

وتعودُ أخيراً إلينا

كطيرِ المسافاتِ

من سفرِ مطري

تعيدُ ملاحظتنا...

فيولدُ الأسلافِ

أولئك الذين استشهدوا

ودفنوا في باطنِ الجبالِ

بالقربِ من مشارفِ الأريافِ

وحولهم:

تكوّرُ الوطنِ

يشعلُ أغنياته...

ويزهَرُ الأحفادُ

أولئك الذين مازالوا

يمارسونَ الحلمَ دون رهبةٍ

كما الفراشُ...

ويوقنونُ

بزمنٍ معدّلٍ للأرضِ

منبتينِ البذورِ التي

لم يكن يتسنّى لنا بعثها

نحن جيلُ التسلُّطِ

في زمنِ الثورةِ الغاربةِ!

صارخينَ بأعلى طموحاتهم:

للغدِ الوردِ

والقمحِ

والطرقاتِ...

للغدِ الأفقِ

والغيمِ

والقبراتِ...

... ثم تأتي الحياةُ

فتخططُ الروحُ لفلسفةٍ جديدةٍ

لانتصارِ،

ورقصةٍ أكيدة...

لاتساعِ،

يفتقُ الفضاءِ...

وانتشارِ،

على مدىِ النشوءِ...

لوطنٍ يشرقُ من قلبينِ

يقاومانِ الكوارثِ

ويخلقانِ الأمانِ...

يمتلئانِ ببعضيهما

ويوسعانِ مداهما

إلى آخرِ الكونِ

يعيشانِ الأطفالَ القادمينَ

والكوكبَ النازفَ

على سكاكينِ الجزارينِ،

وحياةٌ لم تُنجزَ نفسها بعدُ

وبقايا دفءِ

في جسدٍ و... ذاكرةٍ...

يتوهجانِ،

ويخططانِ:

لانتصاحِ وردةٍ

وعدالةِ خنجرٍ

لغموضِ... وأسئلةٍ

لموتِ... وحياةٍ

ويذهبانِ إلى مستوطنِ هائلِ

ممتلئِ بالمدى

وبازدهارِ الأمدِ

تنتشرُ فيه الذاتُ

وتمتدُّ الطرقُ

في أبعادِ لانهايةٍ

لكونِ

وكائنِ

لا ينتهيانِ...

\*\*\*

ها هو الثلجُ يهيمِ

على الأرضِ يهيمِ

من القلبِ يهيمِ

ويهيمِ...!

خالقاً حالةً

لاشتعالِ الجسدِ

حالةً

لالتحادِ الندى

بالأبدِ

دمشق